

الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية (دراسة ميدانية في مدينة الموصل)

مرح مؤيد حسن*

ملخص البحث :

البحث من البحوث الوصفية التحليلية أستخدم فيه الميدان والعينة لتحقيق هدفه الأساسي التعرف على الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية متخذاً ثلاث محاور هي : معرفة الناس بماهية الحكاية الشعبية ، التعرف على مدى الوجود الفعلي للحكاية الشعبية في الأسرة ، التعرف على مكانة الحكاية الشعبية عند أفراد المجتمع وقد كانت النتائج تحمل مؤشرات ايجابية وسلبية فيما يتعلق بتلك المحاور .

ABSTRACT

The social position of folk ales

A field study in Mosul city

Marah.M.Hasan

The study is a descriptive and analytical . the field and samples were used to a chive a goal for the recognition of social position of fork tales in mosul community . Three axes were implied in this study : the knowing of the people of the concepts of folk tales the recognition of how much the folk tales existing actually in Mosulion families and the social importance of fork

* مدرس مساعد / مركز دراسات الموصل

tales in community . The results bear both positive and negative indications as for as these axes were concerned .

المقدمة

إن رواية الأحداث وما مر بالإنسان من ظروف ونقلها شفاهة بصورتها الحقيقية أو بإضافة شيء من الخيال إليها ظاهرة موجودة منذ فجر التاريخ وهذه هي الحكاية التي هي بالأساس محاكاة للواقع الذي يعيشه الفرد ونقله بصورة حكاية ، غير إن مصطلح الحكاية الشعبية مصطلح حديث نسبيا وضعه علماء الأدب ليميزوه عن الأنواع الأخرى من فنون التعبير الأدبي وهذا المصطلح شامل وواسع ومرن إلا إن له ملامح وخصائص.

وكان لهذا المصطلح اهتماما كبيرا من قبل الدارسين في حقول المعرفة المختلفة الأدبية منها أو الانثروبولوجية أو الاجتماعية حيث درست صفات الحكاية الشعبية وميزاتها وأنواعها ومضامينها والعلاقة التي تربطها بمجتمعها وغيرها ، أما دراستنا هذه فهي دراسة اجتماعية لم تتناول الحكاية من الداخل أي لم تتعامل مع مضمون الحكاية بل تناولت ما يدور حول الحكاية والعلاقة بين الحكاية والناس في زمن ممثلي المتغيرات والمثيرات والعوامل التي لها تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة على واقع الحكاية الشعبية اليوم ، وقد تم تطبيق الدراسة ميدانيا على مدينة الموصل إحدى المدن العراقية الزاخرة بالتراث الحكائي لمعرفة الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية فيها .

إن هذه الدراسة تناولت جانب نظري تكون من ثلاث مباحث الأول كان عرضا للإطار المنهجي للبحث والثاني تناول مكانة الحكاية الشعبية بين العلوم وفائدتها ومن ثم بيان الاهتمامات والإجراءات المتخذة تجاهها أما المبحث الثالث فقد تناول واقع الحكاية الشعبية بين الأمس واليوم وتفسير أسباب التغيير في هذا الواقع ، أما التطبيق الميداني لواقع الحكاية الشعبية في مدينة الموصل فكان مبحثا رابعا

للدراسة تم فيه عرض نتائج الاستبيان والتعليق عليها ومن ثم عرض لأهم الاستنتاجات تبعها التوصيات والمقترحات الخاصة بالبحث .

المبحث الأول : الإطار المنهجي للبحث

تحديد مشكلة البحث

في زمن ليس بالبعيد كان لكل مجتمع من المجتمعات ما يميزه من حكايات وخصائص وصفات وطباع وعادات وسلوك وحتى أدوات وبمرور الزمن أخذت هذه السمات المميزة تتراجع وتصبح جزءا من تراث ذلك المجتمع وعموما أصبحت المجتمعات اليوم ونتيجة لما يسمى بالعالمية والعولمة ودخول التكنولوجيا وسرعة الاتصال الثقافي وسهولته تشترك في عدد ليس بالقليل من سلوكياتها وأفكارها وصفاتها مع الاحتفاظ بمميزات خاصة بها بالطبع ، ومما يميز المجتمعات سابقا إن لكل منها حكايات شعبية متوارثة من السلف انتقلت بعض منها من مجتمع إلى آخر حتى أصبحت حكايات عالمية وأخرى بقيت محلية أسيرة مجتمعها الذي نشأت فيه . ولكن إذا نظرنا إلى واقع هذه الحكاية في يومنا هذا هل هي موجودة فعلا ؟ هل هناك من يرويها أو يحفظها أو يقرأها أو يهتم بها ؟ هل لها مكانه في نفوس أبناء المجتمع وسط زخم وسائل الاعلام الحديثة والفضائيات ؟ وهل يعرف أبناء المجتمع أصلا ما المقصود بمصطلح الحكاية الشعبية وهل يفصلون بينها وبين الفنون الأدبية الأخرى ككتب الأطفال والرواية هذه التساؤلات هي محددات لمشكلة البحث التي دفعتنا للبحث والإجابة عنها.

أهمية البحث :

تكمُن أهمية البحث من الناحية النظرية بأن الحكاية الشعبية جزء من التراث العالمي للبشرية وأنها وسيلة قوية لمعرفة صفات الشعوب وعاداتها كما إنها تأكيد لهوية كل مجتمع من المجتمعات .

أما من الناحية العملية الواقعية فتكمن الأهمية لكثرة الاهتمامات العالمية والدولية والمحلية بجمع التراث الشعبي للشعوب بكل أصنافه والاهتمام به ودراسته وعقد الندوات والمؤتمرات حوله خوفاً من انقراضه والعمل على أحيائه من جديد وبصورة حديثة .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية متخذاً مدينة الموصل أنموذجاً لذلك من خلال ثلاث محاور هي :

- أ- مدى معرفة الناس بماهية الحكاية الشعبية
- ب- التعرف على مدى الوجود الفعلي للحكاية الشعبية في الأسرة
- ج- التعرف على مكانة الحكاية الشعبية عند أفراد المجتمع

نوع البحث ومنهجيته :

البحث من البحوث الوصفية التحليلية استخدم منهج المسح الاجتماعي عن طريق سحب العينة.

العينة :

اختارت الباحثة عينة عرضية من أفراد مدينة الموصل بلغت ٨٠ مبحوثاً رجالاً ونساء بوصفهم أرباب الأسر الموصلية وقد اختيرت العينة بصورة عرضية لعدم توفر الاطار الذي يضم وحدات العينة (الأسرة الموصلية) .

أدوات البحث :

تم اعتماد الاستبيان أداة لجمع البيانات من عينة البحث حيث تم عرضه على الخبراء* وبعد إجماع الآراء حوله وزع على أفراد العينة ، هذا فضلا عن الكتب والمراجع العلمية والدوريات وشبكة الانترنت التي استمدت الباحثة معلوماتها منها .

مجالات البحث :

المجال الزمني / المدة المحصورة من ٢٠٠٨/١٢/١ إلى ٢٠٠٩/٣/١

المجال المكاني / مدينة الموصل

المجال البشري / أرباب الأسر الموصلية

تحديد المفاهيم والمصطلحات

الحكاية الشعبية Folktales

لا بد لنا من فهم واضح لما تعنيه الحكاية الشعبية ولأهم الخصائص التي تميزها عن غيرها من ألوان الأدب ومن ثم لا بد لنا من بيان لأنواعها .
فالحكاية الشعبية في إحدى تعريفاتها هي " شكل تعبيرى ينسجه الخيال الشعبي حول حدث مهم لها شبيوع وذائعة الصيت في كل المجتمعات وفي كل الأمكنة والأزمنة ، قد يكون بعضها بسيط ببساطة المجتمع وبعضها قد يكون معقد والعامل المشترك بين البساطة والتعقيد هو وجود الراوي والمتلقي"^(١).

* د. عبد الفتاح محمد فتحي / استاذ مساعد / كلية الاداب / جامعة الموصل

د. خليل محمد الخالدي / استاذ مساعد / كلية الاداب / جامعة الموصل

موفق ويسى محمود / استاذ مساعد / كلية الاداب / جامعة الموصل

د. وعد ابراهيم خليل / مدرس / كلية الاداب / جامعة الموصل

وتعرف الحكاية الشعبية أيضا بأنها " أحداث يسردها راوية في جماعة من المتلقين وهو يحفظها مشافهة عن راية آخر ولكنه يؤديها بالفاض الحكاية وان كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بناءها العام " (٢) .

وللحكاية الشعبية جملة من الملامح والخصائص المميزة لها أهمها أنها تبدأ بداية ثابتة مثل كان ياما كان وتنتهي بعبارات محددة أيضا مثل عاشوا عيشة سعيدة أو عاشوا في ثبات ونبات إلى أخره كما إنها مجهولة المؤلف فهي متوارثة تنتقل عبر الأجيال بعكس القصة المكتوبة التي لها مؤلف معروف وتنتقل الحكاية بالرواية الشفهية وان أصبح بالإمكان الآن كتابتها أو عرضها بالأقراص المدمجة بأسلوب سردي أو كصور متحركة ، ولغة الحكاية عامية بسيطة وأحيانا ما تكون فصيحة إلا أنها قد تترجم إلى لغات أخرى وهذا ما يعطيها صفة العالمية ومن السهل ان نلاحظ التشابه بين المحاور الرئيسية وبين الشخوص والوظائف في حكايات الشعوب مع بعض التعبيرات والحذف لعباراتها مما يعطيها صفة المرونة عند انتقالها من مكان لآخر (٣) ، ومن الحكايات ما هو خرافي أو أسطوري يدور حول أشخاص أبتدعهم الخيال أو حول شخصيات تاريخية ولكن بصورة غير واقعية بينما تقف حكايات أخرى عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية كالعلاقات الاجتماعية والأسرية .

وقد تطلق تسميات محلية مختلفة على الحكاية الشعبية فقد تسمى ب(الحكي) في مدينة الموصل أو (الحدوته) في مصر أو (الخروفة) في الإمارات العربية المتحدة ، وقد قسمت الحكايات الشعبية إلى أنواع هي حكايات الجان وحكايات الحيوان والحكايات المرححة والسير .

المبحث الثاني مكانة الحكاية الشعبية

تتجلى مكانة الحكاية الشعبية في كونها تدخل ضمن عدد من الاختصاصات أهمها التراث الشعبي (الفلكلور) والأدب الشعبي وأدب الأطفال وعلم الأنثروبولوجيا، فبالنسبة للتراث الشعبي تعد الحكاية الشعبية جزء من مفردات التراث والذي يعرف بأنه " العناصر الثقافية التي خلفها المجتمع " (٤). وبمعنى آخر هو كل ما له علاقة بالتعبير الشفهي مثل القصص والأساطير والأغاني الشعبية والرقص الشعبي والأمثال والأحاديث وغيرها من الفعاليات الأدبية والفنية التي يرثها الشعب وتنتقل فيه من جيل إلى جيل بالحفظ لا بالتدوين . وهو أيضا الطرائق الحضارية للمجتمع مثل الأدوات والصناعات والفنون والحرف اليدوية (٥). وقد زاد الاهتمام بمكانة التراث الشعبي بجميع أجزائه ومن ضمنها الحكاية الشعبية في الدول العربية بعد الاستقلال السياسي لتلك الدول باعتبار ان التراث الشعبي هو تأكيد للشخصية القومية (٦) .

والحكاية الشعبية كذلك جزء من الأدب الشعبي والذي يعرف بأنه " تعبير المجتمع الشعبي عن نفسه من خلال الكلمة " ومن خصائصه انه تعبير جماعي أي انه مجهول الهوية يتداوله الناس وكل يضيف عليه بحسب أفكاره ومعتقداته . والأدب الشعبي يقسم إلى أدب مرسل وأدب موزون ، والحكاية هنا تقع في خانة الأدب المرسل مع الأساطير والملاحم والسير والأمثال والإلغاز والعبارات الدارجة (٧) .

أما أدب الأطفال فقد ظهرت مكانة الحكاية الشعبية فيه منذ بداية تكون الأسر والجماعات تحكيها الأمهات والجذات موروثة يهفو إليه الأطفال استماعا وتسليية واحتفظت فيه ذاكرة الزمن ليسهم بنصيب كبير في نقل تراث البشرية من جيل إلى جيل (٨) .

وبما ان الحكاية الشعبية تحكي وتصور الكثير من العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات وأساليب الطعام والضيافة والجلوس والحركة الاجتماعية للعصر الذي تخلق فيه (٩) فقد أصبحت جزءاً من اهتمامات علم الإنسان أو (الانثروبولوجيا) وهو العلم الذي يعنى بدراسة الإنسان ودراسة أعماله ويشمل موضوع بحثه جميع ظواهر الحياة الاجتماعية من غير تحديد زمان ومكان (١٠).

ومن منظور آخر تظهر مكانة الحكاية الشعبية من خلال أهميتها وفائدتها والتي يمكن إبرازها عبر النقاط التالية :

- ١- أنها وسيلة للتسلية وقضاء أوقات ممتعة للصغار والكبار .
- ٢- لها دور في نمو شخصية الطفل باعتبارها احد الوسائط الاختيارية التي يعتمد عليها في تنشئة الطفل (١١) ، فعن طريقها يتعلم اللغة أو تترسب لديه معرفة أو تتأصل فيه قيمة إنسانية أو يتأكد له مثل اجتماعي ، فهي بهذا لها أهمية تربوية فالحكاية غالبا ما تحمل معنى أو مغزى لذا يمكن استخدامها كوسيلة تربوية غير مباشرة للطفل في سن مبكر .
- ٣- لها فائدة نفسية وذلك من خلال الاستماع للحكاية وتقليدها وتمثيلها من قبل الطفل فيتمكن من التنفيس والتعبير عن نفسه والتحرر من مشاعر سلبية ضاغطة لا يسمح له بالتعبير عنها في واقعه الحياتي (١٢) .
- ٤- عالمية الحكاية الشعبية فكل الناس في كل مكان مهما تنوعت أنماط ثقافتهم يسردون الحكايات ويسمعونها وان كان هناك تفاوت بين المجتمعات الإنسانية ، وفي المجتمع الواحد فأن أفراد ذلك المجتمع سواء كانوا عمال أو فلاحين أو أساتذة جامعيين يشتركون في كونهم شعبا يهتمون بتراثهم الشعبي وأن اختلفت كثافة الاهتمام بالتراث الشعبي (١٣) .
- ٥- وتكمن أهميتها أيضا في محافظتها على حضارة المجتمع فهي تعكس واقع المجتمع فحدودها في اغلب الأحيان الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية

والتي تؤكد على الإنسان وعلاقته بالطبيعة والمجتمع^(١٤) هذا اذا استثنينا الحكايات الخرافية فالحكاية جزء من تاريخ الأمة وصورة من ماضيها وحين نفقد الارتباط بها سنجد أنفسنا بدون تجارب نستفيد منها وبلا خبرات نبني عليها خبرات جديدة.

وللمكانة التي تتمتع بها الحكاية الشعبية باعتبارها جزءا أو عنصرا مهما لعدد من الاختصاصات والمجالات كالتراث والأدب وعلم (الانثروبولوجيا) وللفائدة التي نحصل عليها من الحكاية الشعبية فقد ظهرت اهتمامات عدة بها زادت من مكانتها في المجتمع ، ومن هذه الاهتمامات قيام حكومات الدول التي تمتلك تراث حضاري بإنشاء عدد من المراكز البحثية التي تعنى بتقديم المادة التراثية ومن ضمنها الحكاية والعمل على تسجيلها وجمعها إدراكا منها لما تحمله من أصالة وأجريت العديد من البحوث التي تناولتها بالدراسة لغويا وأدبيا واجتماعيا كما عقدت العديد من الندوات التي تناولت الموضوع ومن الأمثلة على مثل تلك المراكز البحثية مركز دراسات الموصل الذي يعنى بإبراز المادة التراثية لمدينة الموصل من خلال البحوث المقدمة من باحثيها في هذا المجال وندواته المتعددة التي يجريها وأخرها الندوة الخاصة بالحكاية الشعبية .

ومن جانب آخر ظهر الاهتمام بالحكاية الشعبية من خلال الإصدارات المتعددة والمجلات التراثية والتي تناولت في ثناياها عدد من الحكايات الشعبية منها مجلة التراث الشعبي العراقي التي بدأت بالصدور سنة ١٩٦٩ تحت رعاية وزارة الثقافة والإعلام^(١٥) . فضلا عن مجلات الأطفال والتي تناولت الحكاية الشعبية بالسرد إلى جانب القصص المكتوبة كما في مجلة التلميذ العراقي والتي صدرت لأول مرة عام ١٩٢٢^(١٦) . كما ظهرت كتب جمعت كل الحكايات الشعبية المتوارثة مثال ذلك كتاب حكايات الموصل الشعبية للكاتب احمد الصوفي والذي وثق فيه الحكايات الشعبية الموصلية . وفي المغرب على سبيل المثال لا الحصر أدخلت الحكاية الشعبية

كبرنامج تربوي إلى المدارس من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية حيث استخدمت كوسيلة تعليمية ويهدف هذا البرنامج إلى إكساب الطفل المهارات اللغوية والتعبيرية والإبداعية وتمييزها ويشمل كذلك مواجهة الطفل للمشاكل النفسية والاجتماعية والتربوية ، وقد أطلق على هذا البرنامج (سبك حكاية) حيث انه بعد انقضاء سنة يكون التلاميذ قد استمعوا إلى حكايات تنتمي إلى ثقافات مختلفة وابتدعوا حكايات خاصة بهم وشخصوها (١٧) .

وأخيرا يظهر الاهتمام بالحكاية الشعبية من خلال وسائل الإعلام المرئية والسمعية التي تنجز برامج خاصة بالثقافة الشعبية وقد تحول الحكايات إلى برامج كارتونية أو تمثيلية تنقل الأحداث بالصوت والصورة مما يساعد على ترسيخها في النفوس مثل قصة السندباد البحري وحكايات ألف ليلة وليلة وغيرها الخ .

المبحث الثالث

الحكاية الشعبية بين الأمس واليوم

قبل أن ندخل في الحديث عن واقع الحكاية الشعبية في يومنا هذا لابد لنا من استرجاع لواقعها في الأمس غير البعيد وتحديدا في النصف الأول من القرن العشرين حيث كان للحكاية دورا في حياة الصغار والكبار معا رجالا ونساء ، فالصغار في مدينة الموصل كانوا يتبادلون الحكايات الشعبية فيما بينهم سواء كانت محلية مثل حكاية الخنفسانة أو البلبل هزار أو حكايات شعبية عالمية مثل سندرلا وقطر الندى وليلى والذئب فضلا عن ان الجدات في البيوت أو الأمهات غالبا ما يروين الحكايات لأحفادهن وأبنائهن قبل الذهاب إلى النوم ويتم التلقي بإصغاء عميق قد يتخلله الضحك أو الفرع أو الاندهاش. ولكل حكاية عنوانها وتبدأ بداية ثابتة هي كان ياما كان في قديم الزمان (١٨) .

وبالنسبة للكبار فإن ابرع القصاصين هم من النساء واغلبهن أميات وقد كانت القصاصات من النساء على الرحب والسعة في الحرم النسائي ، أما على صعيد الرجال فقد كانت رواية الحكاية مهنة مربحة فكان القصاصون يجلسون في المقاهي والأسواق ويسردون الملاحم والسير والحكايات الشعبية مثل سيرة سيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد وقد كانوا يكافئون بالمال والهدايا (١٩) . وفي بغداد كان يطلق لقب (القصة خون) على الحكواتي الذي يقرأ القصص شفاهاً أو من كتاب (٢٠) . والحكواتي هنا هو صورة متأخرة زمنياً لرواة كانوا ينتقلون في الأسواق وحيثما يجتمع الناس لكي يحكوا حكاياتهم وينقلوا مشاعرهم وما سمعوه أو رأوه من غرائب وبطولات وهم يدعمون حكاياتهم بالأصوات وحركات الوجه واليدين (٢١) .

أن الصورة عن الحكاية الشعبية في الأمس تختلف عنها اليوم فصورة السرد الشفاهي للحكاية الشعبية لم تعد ظاهرة عامة مألوفة عند عامة الناس إلا عند البعض منهم حتى انه بات هناك خوف من اندثار تلك الحكايات بموت من يحفظها ، وأخذت الحكاية الشعبية تأخذ في عرضها صور أخرى فقد تحولت الحكايات الشعبية إلى أفلام للكرتون مثل حكايات السندباد أو عرضت على شكل مسلسلات تلفزيونية مثل مسلسل دليلة والزئبق حيث ساعدت التقنيات الحديثة من التسجيل والتصوير والحاسوب على ذلك العرض الجديد للحكاية الشعبية كما ترجمت وطبعت العديد من الحكايات الشعبية العالمية وأخذت تقرأ في كتيبات باللغة الفصحى كما ان كتاب قصص الأطفال اخذوا الحكاية الشعبية كمادة خام لكتابتهم يعيدون روايتها للأطفال بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وأصول التربية (٢٢) .

والآن سنحاول معرفة أسباب هذا التغير وتفسيره :-

ان التفسير الاجتماعي لهذا التغير يرجع بالدرجة الأولى إلى ظهور البدائل عن الحكاية الشعبية فقد ظهرت إلى الوجود وسائل للتسلية تحمل إثارة ومتعة مثل برامج والعباب (البلي ستيشن والكمبيوتر) فضلا عن برامج التسلية والألعاب والأفلام

الكارتونية التي تقدمها وتتسابق فيها الفضائيات إلى جانب تطور الحياة وتعقدتها وكثرة المشاغل اليومية التي أبعدت الأمهات والجذات عن أولادهم لعدم وجود الوقت الكافي لحكاية الحكايات لهم . هذا فضلا عن الدور الذي تلعبه المدرسة في التربية والتعليم وانصراف الأبناء إلى الاهتمام بدروسهم وواجباتهم اليومية . أما الكبار فكان لتطور التكنولوجيا وما توفره من وسائل ترفيهية وراحة ومعرفة مثل الانترنت وما تعرضه الفضائيات من برامج وأفلام ما يغني عن الجلوس في المقاهي و الاستماع للحكاية الشعبية والتسامر بها فقد قلت هذه الظاهرة عندما ظهر الراديو ودور العرض السينمائية فكيف بها الآن .

وبتعمق أكثر لهذا التفسير نجد ان مجتمعنا قد تعرض إلى عملية التغيير الثقافي والذي نعني به كل تغيير يطرأ على الظروف أو العناصر الثقافية طالما كان هذا التغيير يؤثر على بناء المجتمع أو أداءه الوظيفي (٢٣) . والحكاية الشعبية هي إحدى العناصر الثقافية لمجتمعنا فالثقافة لها جانب مادي متمثل بالأشياء الملموسة وجانب روحي غير مادي متمثل بالقيم والأخلاق والعقائد والآداب والسلوك . وقد تعرضت إلى هذا التغيير نتيجة اكتساب المجتمع لعناصر ثقافية جديدة خارج ثقافته الأصلية وهذا ما تم عن طريق الاتصال الثقافي من خلال الشبكات الفضائية ووسائل الإعلام أو الاتصالات الدولية أو من خلال تصدير ثقافة معينة ونشرها كما يحدث في نظام العولمة وهذا ما يسمى بالغزو الثقافي .

المبحث الرابع

الجانب الميداني

عرض نتائج الاستمارة الاستبائية

قامت الباحثة بجدولة ما جاء من فقرات في الاستبيان المقدم إلى عينة البحث للتعرف على واقع الحكاية الشعبية في مدينة الموصل من حيث معرفة الناس بها ومن

حيث وجودها الفعلي في الأسرة الموصلية ومن حيث مكانتها بين المتغيرات الحديثة عند عامة الموصلين مع تفسير نتائج هذه الجداول .

أ- البيانات العامة للمبحوثين

١- العمر :

من خلال البيانات التي أعطاها المبحوثين تبين ان اصغر أفراد العينة كان بعمر ١٨ سنة لربة أسرة واكبر عمر لأفراد العينة كان ٧٣ سنة لربة أسرة أخرى . قامت الباحثة بتقسيم الأعمار إلى فئات طول كل فئة ١٠ كما موضح في الجدول (١) فظهر ان أعلى التكرارات كانت للفئات العمرية (٢٥-٣٤) و (٣٥-٤٤) وهي فئات عمرية شابة من الطبيعي ان يكون لديها أطفال في أعمار متباينة كما ان هذه الفئات العمرية عاصرت جيلين مختلفين جيل الإباء والأجداد وجيل الأبناء (الجيل الجديد) بأفكارهم ومتغيراتهم مما يعطي أهمية لبياناتهم التي يعطونها .

٢- المستوى التعليمي :

أما المستوى التعليمي لأرباب الأسر فكان لخريج الجامعة النسبة الأكبر فقد بلغت ٤٣,٧% و اقل نسبة لخريج الابتدائية ٦,٣% مما يعطي انطبعا مقبولا عن المستوى التعليمي لأفراد العينة .

٣- الجنس :

كانت نسبة الذكور من العينة (ارباب الاسر الموصلية) ٥٣,٧% اما نسبة الاناث (ربوات الاسر الموصلية) ٤٦,٣% .

٤- المنطقة السكنية :

وقد شمل الاستبيان معظم مناطق مدينة الموصل الشعبية منها وغير الشعبية استنادا الى تصنيفات الدراسات الاجتماعية السابقة وحسب النسب الواردة في جدول

(١) مما يعطي مصداقية تمثيل العينة لمجتمع البحث حيث لكل منطقة ثقافتها الخاصة بها .

جدول (١) البيانات العامة للمبحوثين

الفتاة العمرية	ك	%	المستوى التعليمي	ك	%	الجنس	ك	%	المنطقة السكانية	ك	%
٣٤-٢٥	٣٣	٤١,٣	ابتدائية	٥	٦,٣	ذكر	٤٣	٥٣,٧	شعبية	٣٣	٤١,٣
٤٤-٣٥	٢٣	٢٨,٧	متوسطة	١٤	١٧,٥	أنثى	٣٧	٤٦,٣	غير شعبية	٤٧	٥٨,٧
٥٤-٤٥	١٠	١٢,٥	إعدادية	١٦	٢٠						
٦٤-٥٥	١٠	١٢,٥	جامعة	٣٥	٤٣,٧						
٧٤-٦٥	٤	٥	دراسات عليا	١٠	١٢,٥						
المجموع	٨٠	١٠٠	المجموع	٨٠	١٠٠	المجموع	٨٠	١٠٠	المجموع	٨٠	١٠٠

ب - في مجال المعرفة بالحكاية الشعبية

في هذا المحور أرادت الباحثة ان تتعرف على واقع الحكاية الشعبية من حيث معرفة الناس بها هل يفرقون بين الحكاية الشعبية وقصص الأطفال مثلا كأصناف أدبية مختلفة ؟ وهل يعرفون ان الحكاية الشعبية ليست للأطفال فقط ؟ وهل يعرفون ان للحكاية الشعبية فوائد وأهداف تتحقق من ألقائها ؟ ام ان هذه المعرفة لخفايا الحكاية الشعبية تقتصر على الباحثين والاختصاصيين ، ولمعرفة إجابات المبحوثين حول تلك الأسئلة يمكن ملاحظة الجدول (٢) .

جدول (٢) المعرفة بالحكاية الشعبية

هل هناك فرق بين الحكاية الشعبية وقصص الأطفال	ك	%	هل تعتقد ان الحكاية الشعبية فائدة	ك	%	هل تعتقد ان الحكاية الشعبية موجه إلى	ك	%	ك	ماهي تلك الفائدة	ك	ت-م
نعم	٥٧	٧١,٣	نعم	٧٦	١٧,٥	الأطفال	١٤		٢٥	تسليية وترفيه	٢	٢
لا	٢٣	٢٨,٧	لا	٤	٢,٥	فقط الكبار فقط	٢		٢٥	حفظ وتراث	٢	٢
					٨٠	الاثنان معا	٦٤		٥٠	تقدم حكم ومواعظ	١	١
المجموع	٨٠	١٠٠	المجموع	٨٠	١٠٠							

فمن الصحيح والمعروف لدى العارفين بالفنون الأدبية ان لكل صنف أو لون أدبي خصائصه وميزاته التي تفرقه عن الأصناف الأخرى ومن أهم ما يميز الحكاية كما ذكرنا سابقا إنها متوارثة وليس لها مؤلف وتتناقلها الألسن شفاها ولها عمومية بينما قصص الأطفال في يومنا هذا لها مؤلف معروف وعادة ما تكون مكتوبة في مجله أو في كتيب وليس لها ذبوع وعمومية مثل الحكاية الشعبية فضلا عن إنها وليدة زمانها فهي غير متوارثة ، وعند عامة الناس هناك خلط بين كلمة قصة أو حكاية فقد يقال مثلا سنقرأ حكاية أو نحكي قصة الا ان اغلب أفراد العينة يدركون ان هناك فرق بين الحكايات وقصص الأطفال حيث كانت نسبة الذين وافقوا على وجود هذا

الفرق ٧١,٣% بينما ٢٨,٧% منهم لم يفرقوا بين الحكاية الشعبية والقصص المكتوبة للأطفال وهذه النتائج تعطي مؤشرا ايجابيا في مجال المعرفة بالحكاية الشعبية .

وممن عاصر زمن المقاهي الشعبية والاجتماعات العائلية الليلية البعيدة عن أجهزة التلفاز والراديو يدرك ان للكبار نصيبا من الحكايات الشعبية حيث كانت تروى لهم ويستمتعون بها ويأخذون منها العبر والمواعظ كما ان للصغار نصيبا منها من قبل الجدات والأمهات وقد كانت نتائج المبحوثين تؤكد المعرفة بأن الحكاية الشعبية موجهة للكبار والصغار معا وليس للصغار فقط أو الكبار فقط ، وقد بلغت نسبة الذين أجابوا بهذه المعرفة ٨٠% من مجموع الإجابات وهذا مؤشر ايجابي أيضا في مجال المعرفة .

وللحكاية الشعبية فوائد متعددة فهي فضلا عن كونها وسيلة للتسلية والترفيه فهي وسيلة لحفظ تراثنا من خلال روايتها لحقائق وصفات المجتمعات السابقة وهي أثناء سردها تعطي للصغار والكبار حكم ومواعظ فهي وسيلة تربوية . وعند سؤال المبحوثين في اعتقادهم بأن للحكاية الشعبية فائدة أو لا أجاب ٩٥% منهم بأن لها فائدة واهم فائدة بالنسبة لأفراد العينة الذين أجابوا بنعم والبالغ عددهم ٧٦ من مجموع ٨٠ كانت تقديم الحكم والمواعظ في حين ان حفظ التراث والتسلية والترفيه احتلتا الدرجة الثانية من الأهمية بالنسبة لهم ، والمعرفة بأن للحكاية فائدة مؤشر ايجابي أيضا .

ج- في مجال الوجود الفعلي للحكاية الشعبية

نتناول في هذا المحور واقع الحكاية الشعبية في مدينة الموصل وفي الأسرة الموصلية خصوصا هل هناك من يحفظها ويرويها في المنزل ومن هم الذين يروون مثل تلك الحكايات وهل روايتها مستمرة ام بين الحين والحين ؟ والجدول (٣) يبين الإجابات الخاصة لهذا المحور .

جدول (٣) الواقع الفعلي للحكاية الشعبية

هل تحفظ الحكاية الشعبية	ك	%	هل هناك من يروي الحكاية في منزلك	ك	%	في حالة الإجابة بنعم فمن هو	ك	ت-م	هل تكون الرواية	ك	%
نعم	٥٠	٦٢,٥	نعم	٥٩	٧٣,٧	الجد أو الجدة	٢٥	٢	يومية	٤	٦,٨
لا	٣٠	٣٧,٥	لا	٢١	٢٦,٣	الأم أو الأب	٣٥	١	على فترات	٣٤	٥٧,٦
						الأخوة أو الأخوات	٢	٣	نادرًا	٢١	٣٥,٦
						أخرى	-				
المجموع	٨٠	١٠٠	المجموع	٨٠	١٠٠				المجموع	٥٩	١٠٠

فبالنسبة لحفظ الحكايات الشعبية ظهر ان ٦٢,٥% من أفراد العينة يحفظون في ذاكرتهم حكايات شعبية وهذا بالطبع جاء من تواتر سماعها عن آبائهم وأجدادهم في الصغر حتى رسخت في أذهانهم وقد يقومون هم بدورهم في نقلها وسردها لأبنائهم وهذا مؤشر ايجابي على وجود الحكاية الشعبية في الذاكرة . أما روايتها فعلياً في المنزل على مسامع الأطفال فقد كان ٨٣,٧% من الأسر الموصلية فيها من يلقي الحكاية الشعبية وهذه نسبة مرتفعة ولكن السؤال الذي يحدد الواقع الفعلي للحكاية الشعبية والذي يميز الحكاية في الأمس عن اليوم هو ان الحكاية الشعبية كانت في الأمس حاضرة على الدوام وتحكى يومياً أما الآن فنتيجة للانشغال المستمر بالأعباء اليومية وهموم ومشاكل الحياة وكثرة البدائل التي تعوض عن الحكاية الشعبية في التسلية والتربية ونقل الخبرة فقد أصبح للحكاية الشعبية حيزاً ضيقاً في الأسرة الموصلية حيث أجابت أكثر من نصف العينة ٥٧,٦% ممن أجابوا بأن تروى في منازلهم الحكاية والبالغ عددهم ٥٩ بأن الحكاية الشعبية تلقى على فترات متقطعة قد تكون في أيام العطل مثلاً أو حسب توفر الفراغ للجدّة أو الأم أو الأب أو قد تكون

نادرة الإلقاء في المنازل وهذه هي إجابات ٣٥,٦% من أفراد العينة وهذا مؤشر سلبي للواقع الفعلي للحكاية الشعبية.

والصورة الشائعة في أذهان الجميع ان رواية الحكاية الشعبية مقرونة بالجدة والأحفاد (صورة تقليدية) إلا ان تحول الأسر إلى نووية بعد ان كانت ممتدة واستقلال الأب والام في السكن مع الأبناء ولقاءات هؤلاء المحدودة مع الأجداد وتناقل وحفظ الحكاية بصورتها المتوارثة غيرت هذه الصورة التقليدية فصار الأم أو الأب هما اللذان يحكيان الحكايات لأبنائهم حيث احتلت فقرة الأب أو الأم الترتيب الأول في التسلسل تبعتها فقرة الجد أو الجدة ثم الأخوة أو الأخوات وفي بعض الأحيان يتلقى الأبناء الحكايات من الآباء والأجداد معا كما ظهر في إجابات بعض المبحوثين وهذا يفسر زيادة عدد التكرارات على عدد المبحوثين والبالغ ٥٩ ، ولكن السؤال الذي يبقى مجهولا هو : هل ان هؤلاء الأبناء سيقومون بإلقاء الحكايات الشعبية على أبنائهم عندما يصبحون آباء وأمهات ؟ .

د- في مجال مكانة الحكاية الشعبية

في هذا المحور حاولت الباحثة التعرف على واقع الحكاية من خلال معرفة مكانتها عند افراد العينة وذلك بمقارنتها مع وسائل التسلية للأطفال في وقتنا الحاضر ومن خلال معرفة وجهات نظر العينة في ضرورة المحافظة على هذه الحكايات ام لا وأسباب قبولهم أو نفيهم لذلك فعند سؤال المبحوثين عن النشاطات التي يفضلونها لأبنائهم في تسليتهم تفاوتت الإجابات فالمرتبة الأولى كانت لمشاهدة أفلام الكارتون تلتها فراءت القصة أو المجلة أما الاستماع للحكاية الشعبية فقد احتلت المرتبة الرابعة ، ومن ملاحظة الجدول (٤) تبين لنا ان الآباء والأمهات يفضلون لأبنائهم البقاء في المنزل والاستمتاع والتسلية بداخله حسب المتوفر كمشاهدة التلفزيون أو اللعب بجهاز الكمبيوتر أو البلي ستيشن عن اللعب خارج البيت مع الأصدقاء أما الاستماع

للحكايات الشعبية فقد احتلت المرتبة الأخيرة من اللعاب المنزل لوجود البدائل الأكثر حداثة والأكثر أثارة ومتعة ولها أمكانية تقديم المواعظ والحكم بصورة أكثر تنوع وفائدة.

جدول (٤) النشاطات التي يفضلها الآباء في تسليتهم لأبنائهم

النشاطات	ك	تسلسل مرتبي
الاستماع للحكاية الشعبية	٣٢	٤
قراءة قصة أو مجلة	٣٦	٢
مشاهدة أفلام الكارتون	٤٠	١
اللعب مع الأصدقاء	١٥	٥
استخدام جهاز الكمبيوتر أو البلي ستيشن	٣٤	٣

ولمعرفة هل ان للحكاية الشعبية مكانه في حفظ التراث من وجهة نظر أفراد العينة قمنا بتوجيه سؤال : هل ترى من الضروري المحافظة على ارتنا من الحكاية الشعبية ؟ وعرضنا لأسباب الرفض والقبول لهذا السؤال وقد أكدت معظم الإجابات انه من الضروري المحافظة على الحكاية الشعبية من الانقراض فهي جزء من تراثنا الأدبي الذي يجب أن نعتز به حيث كانت نسبة من أجابوا بنعم ٩١,٣% وهذا مؤشر ايجابي لمكانة الحكاية الشعبية وضرورة المحافظة على الحكايات الشعبية منبعه عدد من الأسباب كان في مقدمتها من وجهة نظر المبحوثين لأنها جزء من التراث حيث ان ضياع التراث يعني ضياع لهوية الوطن تلاها السبب الذي يقول بأنها بسيطة وسهلة الفهم وكما مبين بالجدول (٥) وقد أضاف المبحوثين أسبابا أخرى غير المذكورة في الاستبيان حيث بين ٤ من المبحوثين بأنه من الضروري المحافظة على الحكاية الشعبية لأنها تقدم حكم ومواعظ وأكد آخر بأنها تنمي المواهب الأدبية ، أما

عن الذين أجابوا بأنه ليس من الضروري المحافظة على ارتنا من الحكاية الشعبية والبالغ عددهم ٧ أفراد من مجموع ٨٠ فقد كانت لهم أسبابهم وأهم سبب بالنسبة لهم ان هناك بدائل للتسلية تعوض عن الحكاية الشعبية تلاه السبب المتعلق بوجود المطبوعات والمجلات والقصص المكتوبة والتي غالبا ما تكون مصورة وملونة والتي تتيح للأبناء قراءتها والاستمتاع بها بمفردهم من دون الحاجة إلى وجود شخص يقوم بالإلقاء تلاها في الأهمية من وجهة نظر المبحوثين أسباب أخرى موضحة في الجدول وقد ذكر احد المبحوثين سببا آخر بأن الاهتمام بالحكايات يعني الوقوف على الأطلال فقط دون حراك .

جدول (٥) مكانة الحكاية الشعبية في حفظ التراث

ك	ت-م	اسباب القبول	ك	ت-م	اسباب الرفض	ك	ت-م	هل ترى من الضروري المحافظة على ارتنا من الحكاية الشعبية
٧٣	٩١,٣	لأنها مسلية	٢٦	٣	المجتمع لا بد ان ينتقل من تقليدي إلى حديث	٣	٣	نعم
٧	٨,٧	لأنها مروية باللهجة العامية	٢٤	٤	وجود بدائل للتسلية بدل الحكاية	٦	١	لا
		لأنها جزء من تراثنا	٤١	١	وجود القصص والروايات المكتوبة	٤	٢	
		لأنها بسيطة وسهلة الفهم	٢٨	٢	اسباب اخرى	١	٤	
٨٠	١٠٠	اسباب اخرى	٥	٥				المجموع

استنتاجات البحث

من خلال المباحث التي تم عرضها في هذه الدراسة يمكن أن نتوصل إلى الاستنتاجات التالية:

- ١- ان الحكاية الشعبية محور من المحاور التي تهتم بدراستها عدة مجالات واختصاصات علمية فهي تدخل في دراسات التراث ودراسات الأدب وخصوصا الأدب الشعبي أو أدب الأطفال كما تدخل في الدراسات الانثروبولوجية والدراسات الاجتماعية والدراسات التربوية التي تهتم بالطفل .
- ٢- للحكاية الشعبية فوائد نفسية وتربوية وتاريخية واجتماعية وترويحوية .
- ٣- وجود اهتمامات محلية ودولية بالحكايات الشعبية لحفظها من الاندثار .
- ٤- ظهور بدائل متنوعة في طرق عرض الحكاية الشعبية في الوقت الحاضر تسير إلى جانب العرض أشفاهي للحكاية بل تتفوق عليها أحيانا أخرى مثل العرض التلفازي كأفلام الكارتون والمسلسلات أو عرضها كتابة بصور متنوعة مقروءة .
- ٥- ظهور مؤشرات ايجابية تدل على معرفة أفراد مجتمع البحث بالحكاية الشعبية وخصائصها وعدم اقتصار تلك المعرفة على الاختصاصيين فقط مثل التفرقة بين الحكاية الشعبية وقصص الأطفال والمعرفة بأن الحكايات الشعبية ليست للصغار بل للكبار أيضا والمعرفة بأن للحكايات الشعبية فوائد متعددة كانت أهمها أنها تقدم حكم ومواعظ .
- ٦- ظهور مؤشرات ايجابية عن الواقع الفعلي للحكاية الشعبية من حيث حفظ الحكايات في ذاكرة أفراد مجتمع البحث ومن حيث وجود أشخاص في الأسرة يلقون تلك الحكايات لأبنائهم وعلى الأغلب ما تكون الأم أو الأب إلا إن المؤشر السلبي لواقع تلك الحكايات أنها تلقى على فترات متباعدة وأحيانا ما تكون نادرة الإلقاء .
- ٧- ظهور مؤشر سلبي لمكانة الحكاية الشعبية كوسيلة تسلية للأطفال عند مقارنتها بغيرها من وسائل التسلية الحديثة .

٨- ظهور مؤشر ايجابي لمكانة الحكاية الشعبية في ضرورة المحافظة عليها لكونها وسيلة لحفظ التراث .

المقترحات

لغرض حفظ الحكايات الشعبية من الانقراض توصي الباحثة بما يلي :

- ١- قيام كل فضاءية بتقديم برنامج من حلقات تقدم فيه في كل حلقة حكاية شعبية تلقى باللهجة العامية للحكاية تقدمها شخصية نسويه أو رجالية قادرة على التعبير الجيد أو عرضها على شكل تمثيلي .
- ٢- اجراء مسابقات مدرسية بين الطلبة وتقديم جوائز لمن يحفظ حكاية شعبية .
- ٣- عرض الحكايات الشعبية المحلية على شبكة الانترنت ليتسنى نشرها عالميا.

المصادر :

- ١- عبد القادر فيدوح ، الادب الشعبي www.a-alhayat.com/show_files.php?id=56
- ٢- الحكاية الشعبية بين الواقع والمعاصرة www.jamahir-alwehda.gov.sy/archives.asp?filename=54096128420081119222244
- ٣- عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، دون سنة طبع ، ص١١-١٣ .
- ٤- لطفي الخوري ، في علم التراث الشعبي ، الموسوعة الصغيرة (٤٠) ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٨ .
- ٥- خضير عبد الأمير ، " التراث الشعبي . دراسات في انثربولوجيا الشعب " ، مجلة التراث الشعبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، عدد ٢ ، بغداد ، ١٩٩٩ ، ص٢ .
- ٦- هاني العماد ، " التراث الشعبي إلى أين " مجلة التراث الشعبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، عدد ١ ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص١١ .
- ٧- عبد القادر فيدوح ، مصدر سابق .

- ٨- موسى زناد سهيل ، أفكار في تربية الطفل ، دار الثقافة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٧ .
- ٩- باسم عبد الحميد حمودي ، " تنوع التراث الشعبي " مجلة التراث الشعبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٨ .
- ١٠- فوزي العنتيل ، بين الفلكلور والثقافة الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص ١١٨ .
- ١١- القصة الشعبية ودورها في نمو شخصية الطفل
www.zulfiedu.gov.sa/vb/showthread.php?mode=hybrid&t=3246
- ١٢- الحكاية الشعبية ودلالاتها التربوية
www.elborouj.com/chowthread.php?mode=hybrid&t=1654
- ١٣- محمد الجوهري ، علم الفلكلور . دراسة في الانثربولوجيا الثقافية درا المعارف ، مصر ، ١٩٧٥ ، ص ٢٨٧ .
- ١٤- الحكاية الشعبية بين الواقع والمعاصرة ، مصدر سابق .
- ١٥- لطفي الخوري ، "تراثنا الشعبي وأثره الحضاري ، مجلة التراث الشعبي" ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ٥ .
- ١٦- رائدة عباس علي ، قصص الأطفال في الموصل ، رسالة ماجستير غير منشورة في الأدب العربي ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢ ، ص ٦ .
- ١٧- سبك حكاية www.almoultaqa.com/s.h.aspx
- ١٨- الحكاية الشعبية بين الواقع والمعاصرة ، مصدر سابق .
- ١٩- كاظم سعد الدين ، الحكاية الشعبية العراقية / دراسة ونصوص ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩ ، بغداد ، ص ٨٩ .
- ٢٠- شوكت عبد الكريم البياتي ، تطور فن الحكواتي في التراث العربي وأثره في المسرح العربي المعاصر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٨٣ .
- ٢١- محمد أديب البلاوي ، الاحتفالية في المسرح الغربي الحديث ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩ .
- ٢٢- الحكاية الشعبية ودلالاتها التربوية ، مصدر سابق .
- ٢٣- محمد الجوهري ، علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث ، ط ٣ ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٢-١٩٣ .